الحركات الاحتجاجيّة الايكولوجيّة: دراسة سوسيو- سيميولوجية لحركة "سكّر السّياب" صفاقس مثالا.

بثينة بوعلاقي :مخبر بحث المغرب العربي :عمران متعدد،جامعة صفاقس/تونس
المنصف القابسي،مخبر بحث المغرب العربي :عمران متعدد،جامعة صفاقس/تونس
علي اللومي :مخبر بحث LARIDIAME،جامعة صفاقس/تونس

alielloumi62@gmail.com

تاريخ استلام البحث : ٢٠٢٥/٢/٢٨

تاريخ قبول البحث : ٢٠٢٥/٣/٢٣

الخلاصة :

يهدف هذا البحث إلى استكشاف دور المحامل والرموز البصرية المستعملة في حركة "سكّر السيّاب" الاحتجاجيّة من منظور سوسيو–سيميولوجي، مع التركيز على تأثيرها في التعبئة الاحتجاجية وتشكيل الهوية الجماعية للفاعلين فيها. وستعتمد الدراسة على السيميولوجيا الاجتماعية لفهم العلاقات الاجتماعية والبنى الثقافية من خلال تحليل الرموز والعلامات، الى جانب الاستئناس بنظرية السلطة الرمزية لبورديو لفهم كيفية توليد وسائل الاحتجاج لسلطة رمزية قادرة على الإقناع والاعتراف الطوعي.

وقد أظهرت النتائج أن رموز الحركة البصرية لعبت دورًا أساسيًا في تعزيز التعبئة وإعادة تشكيل الهوية الجماعية، حيث مثلت صور "الطفل بالكمامة" و"مدخنة المصنع امتدادا بصريّا لفوهة مسدس" أدوات رمزية قوية للتعبير عن الظلم المسلّط على البيئة وتحدّي الهيمنة. وقد كشفت الدراسة عن التحديات التي تواجه التحليل السيميولوجيّ، بما في ذلك تعدد معاني الرموز وصعوبة ربطها بسياقاتها التاريخية والسياسية.

ختامًا، تسلط الدراسة الضوء على أهمّيّة الرموز البصرية كأدوات للتغيير الاجتماعي والبيئي، داعية إلى إجراء مزيد من الدراسات لتوسيع فهم العلاقة بين الرموز والحركات الاجتماعية في سياقات أخرى.

الكلمات المفتاحية : السيميولوجيا الاجتماعية ، السلطة الرمزية، الرموز البصرية، الهوية الجماعية.

Ecological protest movements: A socio-semiological study of the "Sakr al-Sayyab" movement in Sfax as an example.

Buthaina Bouallaqi, Maghreb Research Laboratory: Multi-urbanization, University of Sfax, Tunisia
Moncef El-Qabsi, Maghreb Research Laboratory: Multi-urbanization, University of Sfax, Tunisia
Ali Al-Lomi: LARIDIAME Research Laboratory, University of Sfax, Tunisia

Date received: 28/2/2025
Acceptance date: 23/3/2025

Abstract:

This article aims to explore the role of visual bearings, visual symbols, and signs used in the context of the protest movement in the "Sakkar Al-Sayab" movement from a socio-sociological perspective, focusing on their impact on protest mobilization and their role in shaping the collective identity of the actors in this movement. The study relies on social semiotics to understand social relationships and cultural structures through the analysis of symbols and signs. Additionally, it draws on Bourdieu's theory of symbolic power to understand how protest tools generate symbolic authority capable of persuasion and voluntary recognition.

The findings indicate that visual symbols in the movement played a fundamental role in strengthening collective mobilization and reshaping collective identity. Images such as "the child with the mask" and "the factory chimney as a visual extension of a gun barrel" served as powerful symbolic tools to express environmental injustice and challenge dominance. The study also highlights the challenges of semiological analysis, including the multiplicity of symbol meanings and the difficulty of linking them to their historical and political contexts.

In conclusion, the study emphasizesthe significance of visual symbols as tools for social and environmental change, calling for further research to expand the understanding of the relationship between symbols and social movements in other contexts

Keywords: Social Semiotics , Symbolic Power , Visual Symbols , Collective Identity

المقدمة :

تُعتبر الحركات الاحتجاجية ظواهر معقدة تجمع بين الفعل الجماعي والتعبيرات الرمزية التي تحمل مضامين اجتماعية وثقافية متعددة. وتنتج الحركات الاحتجاجيّة معانيها من خلال المحاميل الرمزية كالرموز والشعارات ،ومن هنا، يصبح من الضروري فهم كيفية تأثير هذه المحاميل البصرية على التعبئة الاحتجاجية ودورها في تشكيل الهوية الجماعية للفاعلين في هذه الحركة.وتمثل السيميولوجيا الاجتماعية مدخلا أساسيا لفهم هذه الرموز بوصفها أنظمة تواصلية تنتج المعاني داخل سياقات اجتماعية محددة .

في هذا السياق، تشكل دراسة الرمز والعلامة مدخلاً سوسيولوجياً هاماً لفهم ديناميكيات هذه الحركات، خاصة تلك التي تهدف إلى تحقيق تغيير بيئي واجتماعي. سنعتمد في هذه البحث على السيميولوجيا الاجتماعية إطارا نظريّا لفهم العلاقات الاجتماعية والبنى الثقافية من خلال دراسة الرموز والعلامات التي تنتجها المجتمعات،وسنعتمد أيضا على نظرية السلطة الرمزية لبورديو، تعميقا لفهم الرّموز وتفسير تأثيراتها على حركة "سكّر السّياب" التي ظهرت في ولاية صفاقس تعبيرا احتجاجيّا ضد التلوث البيئي الناتج عن مصنع السّياب. برز شعار "يزّي تخنقنا" رمزا مركزيّا في هذه الحركة، حيث جسّد المعاناة اليومية للسّكّان من التلوث، وحمل أبعاداً دلالية عميقة تتجاوز المعنى المباشر إلى استنهاض الوعي الجماعي وتحفيز التعبئة الشعبية.

الفصل الأول: التأطير النظري للبحث

١-الإشكالية:

يهدف هذا البحث إلى فهم الدور الذي تلعبه الرموز البصرية في حركة "سكر السياب" ، من خلال مقاربة سوسيو-سيميولوجية تستكشف كيفية مساهمة هذه الرموز في بناء الهوية الجماعية للمحتجين وتعزيز التعبئة الجماعية.

تنطلق الدراسة من التساؤل التالي:كيف تؤثر الرموز البصرية المستخدمة في الاحتجاجات على تشكيل المعاني المشتركة بين الفاعلين الاجتماعيين؟ومن هذا التساؤل الرئيسي تتفرع الأسئلة التالية:

*كيف تساهم السيميولوجية الإجتماعية في تحويل الشعارات البصرية إلى أدوات للتعبئة الجماعية؟

*بأي آليات تعيد الرموز البصرية تشكيل الهوية الجماعية للمحتجين في جهة صفاقس؟

٢-فرضيات الدراسة:

*تساهم الرموز البصرية في إعادة تشكيل الهوية الجماعية للمحتجين،من خلال تعزيز الشعور بالانتماء المشترك.

* تزيد توظيف الرموز البصرية (مثل الصور والشعارات)في الحركة الاحتجاجية ،زيادة قدرتها على تعبئة الجماعات المحلية.

٣-أهداف الدراسة:

أ-تحليل دور الرموز البصرية في الحركات الاحتجاجية،وخاصة في حركة "سكر السياب"من خلال مقاربة سوسيو-سيميولوجية.

ب-دراسة العلاقة بين الرموز والشعارات واستخدامها كأدوات لتعبئة الجماعات المحلية في الاحتجاجات.

ج-استكشاف تأثير الرموز البصرية في تشكيل الهوية الجماعية للمحتجين في جهة صفاقس.

د-فحص كيفية مساهمة السيميولوجيا الإحتجاجية في تفسير الرموز البصرية كأدوات للتعبئة وتعزيز الانتماء الجماعي.

هـ-تحليل آليات اعادة تشكيل الهوية الجماعية من خلال الرموز البصرية في سياقات الإحتجاجات الشعبية.

٤-المقاربة النظرية:

تتخذ اذا السيميولوجيا الاجتماعية نهجًا تحليليًا يرتكز على دراسة المعاني التي تحملها الرموز ضمن سياقات اجتماعية محدّدة، تكشف كيفيّات اشتغال العلامات باعتبارها نظما تواصلية تُنتج معاني تتفاعل مع القيم المشتركة بين الأفراد والجماعات.

والسيميولوجيا هي علم منفتح على السوسيولوجيا إذ أنّ خطاب هذا دون ذاك،يظل فقيرا.هذا يقف عند الفهم،وذاك عند التفسير ،وبين هذا وذاك مرورا من الفهم إلى التفسير[١]. ويشترك جذر سيمياء مع العديد من اللغات السامية كالعربية والهندوأوروبية (كاليونانية واللاتينية)،كما أن أصوات هذا الجذر ومكوناته الدلالية بالمعاجم متماثلة إلى

حد كبير مع مراعاة التغييرات اللازمة في صرف كل لغة [٢]،وترجع الدراسات اللغوية مصطلح السيميولوجيا إلى أصله الغربي Sémiotique ،وتتكون كلمة السيميولوجيا من جزأين أصلهما يوناني: "Sémion " بمعنى العلامة ،و " logos " بمعنى الخطاب "Logie " ،وبامتداد أكبر فإن كلمة الخطاب تعني العلم ومن ثمة فإن السيميولوجيا تعني علم العلامات [٣]وكلمة خطاب "Logie "تستعمل في العديد من الكلمات التي تشير الى علوم مختلفة كعلم الاجتماع "Sociologie" وعلم الاحياء" Biologie" ...[٤]وبهذا أصبحنا نتحدث عن السيميولوجيا الاجتماعية بما هي مقاربة علمية لدراسة العلاقات الاجتماعية والبنى الثقافية وذلك عن طريق تحليل الرموز والعلامات التي تنتجها المجتمعات. و"تبدوا السيميولوجيا أكبر من طموح مشروع نظري لدراسة الدلالة،إذ تبدو وكأنها محاولة لتأسيس دلالة جديدة بعد أن حولت كل مفردات العالم الى علامات وكل علامة بإمكانها أن تحيل إلى مدلول"[٥] .

وعليه فإنّ هذه المقاربة تسعى إلى فهم كيفيّات اشتغال الرّموز للتّعبير عن القيم والمعاني المشتركة بين الأفراد والجماعات وكيف تستخدم لإعادة انتاج النظام الاجتماعي او لتحديه.

يرى بورديو أن السلطة الرمزية تُجسد القدرة على الإبانة والإقناع وهي شكل من أشكال الهيمنة التي تُمارَس دون الحاجة إلى الإكراه المادي المباشر.ويقول بورديو في هذا الصدد "إن السلطة الرمزية هي القدرة على الإبانة والإقناع، وهو ما يعني ان من يمارسها يجب ان تكون له قدرة على توضيح مقاصده وإقناع الآخرين بأفكاره باستعمال الأساليب اللغوية والخطابية الملائمة."[٦]من هنا، يُبرز بورديو أهمّيّة تحليل الخطاب والرموز باعتبارها أدوات رئيسية لفهم العلاقات الاجتماعية وآليات الهيمنة الثقافية داخل أي مجتمع.

الفصل الثاني :الجانب المنهجي للبحث:

١ – البحث الكيفي:

الدراسة ذات طابع كيفي، هذا ويرى جون كريسويل أن الباحث في المنهج الكيفي" هو أداة لجمع البيانات يجمع الكلمات او الصور معا، يحللها استقرائيا، هذا يمكنه من التركيز على طبيعة المشاركين ومن وصف العملية بطريقة معبرة ومقنعة"[٧]. وفي هذا الإطار، يتنزل بحثنا الذي اخترنا له التفهم منهجًا، لفهم سلوك الفاعلين في حركة "سكّر السّياب" وتحليلها خلال مسارهم الاحتجاجي، مسلطين الضوء على كيفية توظيف الرموز البصرية لإعادة صياغة خطاب المقاومة وخلق تضامن مجتمعي واسع النطاق.

٢- مجال البحث:

صورة عدد١٠: مجال الدراسة ولاية صفاقس

المصدر: البحث الميداني

تقع ولاية صفاقس بين الساحل والجنوب التونسي ويحدها شرقا البحر الابيض المتوسط وشمالا ولاية المهدية وغربا ولايتا سيدي بوزيد والقيروان وجنوبا ولاية قابس.

تبلغ مساحتها ٧٥٤٥ كم تمثل٤.٦٪ من المساحة الجملية للبلاد ويسكنها ٩٩٩٢٧٥ ساكنا حسب تقديرات سنة ٢٠١٨ للمعهد الوطني للإحصاء، أما الكثافة السّكّانية فتقارب ١٣٢٤ ساكن /كم ٢[٨]

ويوجد في مجال صفاقس عدة حقول للنفط والغاز الطبيعي المنتشرة في مناطق عديدة من صفاقس، ومصنع ضخم لتكرير الفسفاط القادم من قفصة وانتاج الحامض الفوسفوري.[٩]

٣-المجال الزماني للبحث:

على الرغم من أن حركة "سكر السياب" بدأت منذ سنة ٢٠١١، إلا أن سنة ٢٠١٦ كانت بمثابة نقطة تحول حيث تصاعدت الاحتجاجات بشكل لافت من خلال الظهور الجماهيري واستخدام أدوات بصرية متعددة.بدأت الحركة كمبادرة محلية للتعبير عن المظالم الاقتصادية، لكنها تطورت لتصبح حراكا ذا طابع وطني، يعكس تزايد الوعي الاجتماعي والاحتجاج ضد السياسات العامة.

٤-المجال البشري

تألف حراك "سكر السياب"من مختلف فئات المجتمع في صفاقس ،بما في ذلك الشباب، والمثقفين،الذين شاركوا في الاحتجاجات في إطار المطالبة بحقهم في بيئة سليمة.من خلال المقابلات التي أجريت مع خمسة من المبحوثين الذين كانوا جزءا من الحركة،تبين لنا كيف ساعدت المحاميل البصرية في نقل رسائل الاحتجاج وايصالها الى الجمهور بشكل مباشر وفعال.

٥-أدوات البحث

اعتمدنا في بحثنا على التقنيات التالية:

***تقنية التحليل السيميولوجي للصور:**

التّحليل السيميولوجي للصور أو السوسيولوجيا المرئية تقنية بحثية ومنهج تحليلي، يركز على فهم الظواهر الاجتماعية من خلال الصور والرموز البصرية، ، ولعلّ مردّ هذا أن مصطلح الصّورة يعدّ من أكثر الكلمات غموضا نظرا لتنوع دلالتها.هذا وقد تم تعريفها في المجال السوسيولوجي بأنها نوع من العلامة والعلامة في أبسط معانيها شيء مادّيّ، يستدعي إلى الذهن شيئا معنويا".[١٠]

وهذا ما يبرر اعتمادنا على تقنية التحليل السيميولوجي التي تعتبر حسب رأينا ملائمة جدًا لدراسة الاحتجاجات والرموز النضالية مثل شعارات حركة "سكّر السّياب

***تقنية تحليل المضمون:**

سنعتمد على تقنية تحليل المضمون بهدف تحليل قراءة خالق شعار "تخنقتا" المتعلق بصورة الطفل الذي يرتدي الكمامة، والتركيز على الرمزية التي يحملها هذا الشعار.

جدول عدد ٠٢: جذاذة تحليل مضمون: قراءة خالق شعار تخنقنا

الدّال	المدلول	الشواهد
الطفل الذي يرتدي كمامة	رمز البراءة/الأجيال القادمة	الطّفل الذي يمثّل المستقبل
الكمامة	الحاجة للحماية من التلوث البيئي	القناع الذي يحيل على الاختناق
المدخنة	رمز للتلوث الصناعي والموت	المداخن التي تحيل على

		الماضي
الدّخان الرّمادي الأسود	تهديد بيئي/نقص اكسجين	تتمثّل في الدّخان الملوّث للسياب، وعمق الصورة الرمادي الأسود
اللّون الأصفر مع الأسود	الإنذار بالخطر	الخطر
اللون الاصفر الكبريتي	الكبريت	كما ان الاصفر يشير الى الكبريت باعتباره مادة خطرة
الطفل على اليمين والمدخنة على اليسار	الصّراع بين الحياة الموت	الاختيار بين اليمين (الموت)واليسار (الحياة)

المصدر: البحث الميدانيّ

***تقنية المقابلة:**

تعد المقابلة من أنجح الأدوات المنهجية لتقصّي البيانات وجمعها نظرا لمرونتها فهي " تلك التقنية المباشرة التي تستعمل لمساءلة أفراد على انفراد وفي بعض الحالات مجموعات بطريقة نصف موجهة"[١١]. وهو ما اعتمدناه في بحثنا الميدانيّ فقد قمنا بتقسيم محاور المقابلات التي أجريناها الى أسئلة أساسية وأخرى فرعية فعلى سبيل المثال سؤالنا المحوري حول عمق التأثير الرمزي وتشكيل الهوية الجماعية فقد قمنا بتجزئته الى اسئلة فرعية حول دور الرموز والشعارات في تشكيل خطاب الحركة وكذلك دور الرموز البصرية أداة للتعبئة بالإضافة الى دور الصور البصرية في إعادة تشكيل الهوية الجماعية. وهو ما يدخل في إطار عملية انجاز دليل المقابلة.

٦-عينة الدراسة

وقع اختيارنا على خمسة مبحوثين موزعين وفق الجدول التالي:

جدول عدد ٠٣: تمثيلية العينة في حراك "سكّر السّياب"

العدد الرتبي للمبحوث	المهنة	العمر	دوره في الحراك
١	أستاذ متقاعد	٦٥	منسق عام حراك
٢	أستاذ متقاعد	٦٦	الناطق الرسمي باسم الحراك
٣	محام	٤٩	مهتم بالشؤون القانونية في الحراك
٤	طبيب	٤٧	مهتم بنشر التقارير الطبية المتعلقة بالتلوث البيئي
٥	محام	٥٤	مهتم بالشؤون القانونية في الحراك

المصدر: العمل الميدانيّ

وقع اختيار عينة البحث بطريقة قصدية، وقد شملت أهم الأطراف الفاعلة في حراك "سكّر السّياب". الجدول يُظهر مجموعة المبحوثين المشاركين في حراك سكّر السّياب، مع توضيح أعمارهم، مهنهم، والأدوار التي يقومون بها في هذا الحراك.فيما يتعلق بالمهن فالمجموعة تضم أساتذة متقاعدين، محامين، وطبيب. أعمار المشاركين تتراوح بين **٤٧ و٦٦ سنة**. الأدوار موزعة بوضوح بين قيادة الحراك (منسق عام وناطق رسمي) وجوانب تخصصية مثل القانون والصحة، كل شخص لديه دور محدد ومهم يُساهم في نجاح الحراك.

سنقدم فيما يلي نموذجًا لتحليل جذاذة المقابلة التي استندنا إليها في دراستنا:

جدول عدد ٠٤: جذاذة متعلقة بشبكة تحليل المقابلات

محاور رئيسية	محاور فرعية	ترددات
عمق التأثير الرمزي وتشكيل الهوية الجماعية	*دور الرموز والشعارات في تشكيل خطاب الحركة	نداء استغاثة إرهاب بيئي مستمر
	*دور الرموز البصرية أداة للتعبئة	صفاقس الكل تنتفض
	*دور الصور البصرية أداة لإعادة تشكيل الهوية الجماعية.	قضية مشتركة

المصدر: العمل الميدانيّ

استنادًا إلى التحليل الذي تم في الجداول السابقة، حيث تم تقسيم البيانات إلى محاور رئيسية وفرعية مع تحديد الترددات واستخراج الشواهد المرتبطة بكل محور، سيتم في هذا الجزء عرض نتائج البحث واختبار الفرضيات التي تم طرحها في بداية الدراسة. من خلال تفسير المعطيات المستخلصة، سيتم التحقق من صحة الفرضيات وقياس مدى توافق النتائج مع التوقعات النظرية، وذلك بهدف استخلاص استنتاجات علمية تدعم الأهداف الرئيسية للدراسة وتساهم في توضيح أبعاد الموضوع بشكل أعمق.

الفصل الثالث: نتائج الدراسة ومناقشتها

I – عمق التأثير الرمزي وتشكيل الهوية الجماعية

١–دور الرموز البصرية والشعارات في تشكيل خطاب الحركة

كان الهدف من هذه التحركات هو التغلب على المواقف السّائدة، وكذلك التأثير على جمهور الناخبين وتغيير الممارسات الإدارية للدولة. في سياق حراك "سّكر السّياب"، لعبت الرموز البصرية والشعارات دورًا محوريًا في تشكيل خطاب الحركة وتعبيرها عن مقاومة السياسات المعتمدة. وقد أكد مبحوثنا (٢) في حراك "سكّر السّياب" في تصريحه ما يلي:

"رمزية المسدس جاءت لتأكيد فكرة 'الاعتداء' الذي يمارسه المصنع على المجتمع، وهو ما يعكس شعور السّكّان بأنهم ضحايا سياسات غير عادلة للدولة."

هذه التصريحات تسلط الضوء على كيفية استخدام الرموز البصرية لتجسيد شعور المواطنين بالظلم الناتج عن السياسات البيئية والإدارية.

وفي نفس السياق، أضاف مبحوث آخر (٤) :

"أن الرموز البصرية، مثل الكمامات والشعارات البيئية، أصبحت "رمزًا للاحتجاج على السلطة وتحدّيها ، مما ساهم في تعزيز الإحساس بالقوة الجماعية."

وهو ما يشير إلى أن الرموز لم تقتصر على التعبير عن معاناة بيئية، بل أصبحت وسيلة فعّالة للتعبير عن رفض السياسات التي تهدد حقوق السّكّان.

من جانب آخر، تشير نظرية بورديو حول السّلطة الرمزية إلى "إنّ السلطة الرمزية هي سلطة غير مرئية، ولا يمكن أن تمارَس، إلا بتواطؤ أولئك الذين يأبون الاعتراف بأنهم يخضعون لها، بل ويمارسونها طبق ضوابطها.[١٢]

وحتّى تكتسب مقاومتها نفس القوّة لا بدّ لها من اختراق مجالها الرّمزي هنا تكمن أهمّية التّحرّك بواسطة الرّموز والعلامات. في حراك "سكّر السّياب"، نجح الفاعلون المحليون في استخدام الرموز لاختراق هذا المجال الرمزي للسلطة، مما يعكس مقاومة في مجال غير مرئي وفي نفس الوقت فعّال. سنحاول تقديم قراءة لشعار "تخنقنا" التي تمت صياغتها في حراك "سكّر السّياب".

٢-الرموز البصرية أداة للتعبئة: قراءة في الصياغة الأولى لشعار الحركة

صورة عدد ٠٢: صورة لشعار تخنقنا

المصدر: العمل الميدانيّ

نبدأ بقراءة لخالق الشّعار، لسعد كريشان حيث أوضح في مداخلة له حول شعار "تخنقنا" الذي قام هو وفريقه بصياغته، يقول:

"هذا الشعار يعني في البداية الاختناق وصعوبة التّنفّس في معناه العامّ مدينة وبشرا ... هناك أيضا إحالة على غياب المساحة الكافية أي الإحساس بضيق الفضاء ... هناك جانب معماري يهمّ توسّع المدينة حيث أنّ صفاقس تتوسّع إلى الدّاخل لا باتّجاه الخارج والأطراف ... والشّعار يحيل أيضا إلى المرحلة الأخيرة قبل الموت

والفناء، وإذا كان لا بدّ من التّدخّل وردّ الفعل فذلك يكون عاجلا ودون تأجيل قبل حصول الكارثة. هي رسالة إنسانيّة، نداء استغاثة ولكنّه لا يعني التّذلّل."

إذن هنا معنى مرتبط بالفضاء وبالمجال، وهذا البعد مهمّ جدّا في قراءة تريد الإحاطة الكاملة والكلّية بالإشكاليّات الاجتماعيّة والتّنمويّة، حيث لا بدّ من حصر هذه المشكلات، ومن تشكيل أبعادها الهندسيّة، تلك هي القراءة الاجتماعيّة الفضائيّة Socio spatiale . الفضاءات لا يمكن أن تكون متماثلة في التّحاليل السوسيولوجية عامّة، وتشكيلها هو تشكيل خصوصي ومميّز.

"بخصوص الخطّ، لم يتمّ انتقاء خطّ رفيع وجميل وراق بل هو خطّ يشبه رسم الرّيشة باليد. تمّت إضافة علامة الإشعاعات النّوويّة. يشير كلّ ما هو بصري في الشعار إلى معنيين متقابلين. يتمّ إذن التّأكيد على الأسباب وتتمثّل في الدّخان الملوّث للسياب، وعمق الصورة الرمادي الأسود، ومن جهة ثانية لدينا القناع الذي يحيل على الاختناق. هناك إذن صياغة للمعنى، فهناك المداخن التي تحيل على الماضي والطّفل الذي يمثّل المستقبل."

تكمن أهمّية "التّصميم البصري" في استعمال رموز بسيطة وانتهاج البساطة التّعبيريّة للنفاذ إلى عمق الإحساس وإثارة المشاعر، كمشاعر الخوف من الحاضر ومشاعر الخشية على المستقبل.

"وقد قمنا بخلق علامة تدل على المفارقة في المعاني لمزيد تضخيم الرسالة قمنا ايضا بوضع الالة من ناحية مع ما تمثله من فظاعة ومن ناحية مقابلة الكائن البشري بعينيه اللامعتين وبنظراته التي تتطلع الى الحياة وعلى اليمين نجد المعاناة وعلى اليسار التحدي والإرادة أي أن هذا الكائن الذي يختنق ولكنه مازال يقاوم. هو تقابل اذن بين رمز الحياة ورمز الموت. فكأننا نضع الناس أمام واقع نضطرهم من خلاله الى الاختيار بين اليمين (الموت)واليسار (الحياة)."

المفارقة مثيرة بل ومضخّمة للمعنى، ولحجم الرّسالة المضمّنة، وهي محفّزة على مزيد الانتباه والتّدقيق في التّفاصيل واستكناه المعاني والابتعاد بها أكثر ما يمكن إلى مجالات التّصنيف، وليكون السياسي حاضرا من خلال الموضع داخل فضاء الشعار المرسوم، والتقابل بين "اليمين واليسار" والمعاني التي يعطيها كلّ تصنيف من موت وحياة.

"هكذا اذن يستفز البصري كل من يتأمل فيه ويدعوه الى تعميق التفكير بواسطة علامة بسيطة لكنها عميقة. بالنسبة للألوان تم اختيار ألوان متناقضة جدا فمن ناحية لدينا الأصفر والأسود اللذان يشيران على

الخطر هما علامة الخطر.ويتم استعمالها في الإشارات التي يتم به الإنذار بالخطر. والرمادي الذي يعبر عن الحزن . يشير الأصفر أيضا إلى الكبريت باعتباره مادة خطرة عندما تهيمن على بقية المواد الطبيعية في محيط الإنسان"

الألوان أيضا تخدم بقيّة التّوزيع الفضائي وتساهم في خلق المعاني وتجويد تصميمها، ولعلّ طغيان اللّون الأصفر هو الذي يستدعي أكثر صورة الكبريت القاتل وهو كذلك لون الفسفاط "الملعون". والألوان التي تمّ عليها الاختيار قليلة وبسيطة وتمكّن من التّركيز والبحث عن التّقابل الممكن مع ما يوجد في الواقع، وهي ألوان لها مكانتها في النّفس بل هي صدى لمختلف الإنعكاسات النفسية المطلوبة كالفزع والرعب والخوف والحزن والكآبة ومن ثمّة التّحفّز للمواجهة والتّعبئة.

٣-الرموز البصرية أداة لإعادة تشكيل الهوية الجماعية

يرتبط استخدام الرموز البصرية في الصورة التالية بالسياق الاجتماعي لحركة "يزّي تخنقنا"، حيث يسعى سكّان صفاقس إلى التعبير عن غضبهم من الأثر السلبي للصناعة على بيئتهم. فمدخنة المصنع، الذي يمثل رمزًا للتلوث، يُصور هنا باعتباره أداة قتل، مما يعكس تصعيدًا رمزيًا يعبر عن حالة التوتر بين المجتمع المحلي والسلطات الصناعية.

صورة عدد ٠٣: صورة مدخنة المصنع امتدادا بصريّا لفوهة مسدّس

المصدر: العمل الميدانيّ

تقدم الصورة رسالة بصرية غنية بالدلالات السيميولوجية والاجتماعية. في هذا السياق، يتيح تحليل هذه الصورة من منظور السيميولوجيا الاجتماعية فهمًا عميقًا للعلاقة بين الثقافة المحلية، الهوية الجماعية، والقضايا البيئية التي تواجهها المجتمعات المحلية، فالصورة تصف وتسرد من خلال فضاءها البصري مضمونا يحمل دلالات تمتد جذورها إلى الثقافة والمجتمع التي تنتمي اليهما الرسالة"[١٣]وسنحاول من خلال الجدول التالي صياغة الدلالة البصرية والسوسيولوجية والسيميولوجية للعناصر الأساسية المؤسسة للصورة.

جدول عدد ٠٤: جدول تحليلي لدلالات الصورة

محور التحليل	الوصف والتحليل
الدال (المكونات البصرية)	–المصنع على شكل مسدس –الادخنة السوداء المتصاعدة
المدلول (المعنى الرمزي)	–المصنع كرمز للعنف والتدمير البيئي. –الادخنة تشير الى تهديد الصحة والبيئة
السياق الاجتماعي والسياسي	–الصورة تعبر عن رفض السكان لتأثير المصنع الملوث على البيئة –الغضب من الطبيعة التدميرية لمصنع السياب في حياة المجتمع
الأبعاد الثقافية	المصنع يفسر باعتباره أداة للعنف الرمزي تجاه السّكّان
التفاعل الاجتماعي	–الصورة تحفز المواطنين على التفاعل مع القضية باعتبارها تهديدا حقيقيا للحياة. –التكوين البصري يساهم في تحويل الحراك البيئي إلى قضية اجتماعية ذات أولوية

المصدر: البحث الميدانيّ

تساهم السيميولوجيا الاجتماعية في فهم العلاقة بين الدّال والمدلول في التفاعل الاجتماعي. في إطار هذا التحليل، يُنظر إلى الصورة التي تُظهر مدخنة المصنع بماهي امتداد بصري لفوهة مسدس أداة رمزية تمثل تهديدًا بيئيًا ملموسًا. الدّال في هذه الصورة هو مدخنة المصنع الذي يظهر في شكل فوهة مسدس،

وهو عنصر بصري واضح، أما المدلول فهو المعنى الذي يترتب على هذا التشكيل البصري، الذي يعبّر عن العنف الصناعي والتهديد البيئي المستمر الذي سيتسبب لا محالة في موت المواطنين القاطنين بتلك المنطقة.لذلك فإنّ الدّال والمدلول ليسا مفصولين،و أنّ حدي الرمز الدّال والمدلول،مفتوحان على نحو لا نهائي،وهو ما يسمح بالكلام على امبريالية الدال والمدلول وامتلاكهما خاصية الإطناب أو القدرة على التكرار،وذلك في ثلاثة مجالات أساسية:الإشارات والعلاقات الألسنية والصور المتجسدة في فن من الفنون.[١٤]وهذا ما يؤكد امتلاكها علاقة ديناميكية تُساهم في تشكيل المعاني الثقافية والاجتماعية.

وفي هذا السياق، أوضح مبحوث (٤):

" الرموز البصرية، مثل الكمامات، لا تعبّر فقط عن خطر التلوث، لكنها أيضًا أداة لإظهار وحدة المجتمع في مواجهة التهديدات البيئية. الطفل الذي يرتدي الكمامة بجانب المدخنة يُعبر عن الأمل، ولكنه أيضًا صرخة احتجاج من أجل المستقبل".

وترسل الصورة رسالة مشتركة مفادها أنّ حماية الأطفال هي مسؤولية جماعية لا يمكن تجاهلها. وأكد مبحوث (٢):

"عندما ترى صورة الطفل بالكمامة، لا يمكنك تجاهل الرسالة. إنها تخاطب الجميع، بغض النظر عن موقعهم، لتقول إن حماية الأطفال مسؤولية مجتمعية تتطلب من الجميع العمل ضد التلوث".

إذا تبرز هذه التصريحات قوة المحاميل البصرية في توحيد الأفراد حول قضية محددة من خلال استثارة المشاعر والوعي الجمعي. فالرمز البصري لا يقتصر على دوره التواصلي فحسب، بل يخلق ديناميكية جماعية تسهم في تحويل المعاناة الفردية إلى قضية عامة، مما يعزز الإحساس بالمسؤولية المشتركة ويُحفّز الفعل الجماعي لتحقيق التغيير المنشود.

وهكذا عملت هذه الصورة على توحيد الهوية حول قضية بيئية فمن خلال تقديم المصنع رمزا للعنف الصناعي، تُعيد الصورة تعريف البيئة بما هي جزء لا يتجزأ من الهوية الثقافية والاجتماعية، مما يوحد الأفراد حول هذه الهوية ويعزز تماسكهم. فخلقت قوة الصور والعواطف التي نشطها السرد الإبداعيّ، سواء في التعبئة أو في التهدئة،بيئة افتراضية من الفن والمعنى، واستطاع ناشطوا الحركة الاعتماد عليها للتواصل مع الشباب على نطاق واسع،وبالتالي تحويل الثقافة إلى أداة للتغيير السياسي.[١٥]

ومن هذا المنظور تظهر الصورة أن الهوية الجماعية للمجتمع المحلي لا تُبنى فقط حول القيم الثقافية، بل تتأثر بشكل كبير بالصراعات التي يواجهها.

الخاتمة:

وجدنا أن الرموز البصرية لها تأثير كبير في خلق وتشكيل الوعي الجماعي داخل الحركة. فالصورة الأولى، التي تُظهر الطفل يرتدي كمامة مع مدخنة على يساره، تعكس التهديد البيئي الواضح الذي يواجه الأجيال القادمة. يمكن تفسير هذه الصورة على أنها رمز للصراع بين الحياة والموت. ويتضح تصوّر مدخنة المصنع في شكل فوهة مسدس، فتضيف بُعدًا آخر لفهم رمزية التصنيع الملوث. هنا، يتم تحويل المصنع إلى رمز للقوة المدمرة التي تشكل تهديدًا للحياة البشرية والبيئية وتبين الدراسة أن الرموز البصرية تساهم في إعادة تشكيل الهوية الجماعية للمحتجين. من خلال تبني هذه الرموز، يتبنى الأفراد في الحركة تصورات مشتركة حول البيئة والمجتمع.

إلا أن تطبيق السيميولوجيا الاجتماعية في هذا السياق يواجه بعض التحديات التي تؤثر على قدرة التحليل السيميائي في بلوغ أهدافه. أولاً، يظل تحليل الرموز البصرية مرهونًا بتعددية معانيها التي يمكن أن تختلف حسب السياق الاجتماعي والثقافي.ثانيًا، بالرغم من قدرة السيميولوجيا الاجتماعية على تقديم فحص دقيق للرموز البصرية، إلاّ أنها قد تواجه صعوبة في ربط هذه الرموز بسياقات تاريخية أو سياسية معقدة قد تفسّر جذور الرموز ومساهمتها في تشكيل التغيير ويتضح أن الرموز البصرية في حركة "سكّر السّياب" تمثل أداة محورية في تشكيل الأداة التعبوية وخلق الهوية الجماعية. من خلال تحليل الرموز باستخدام السيميولوجيا الاجتماعية، نتمكن من فهم كيف تساهم هذه الرموز في بناء الوعي الجماعي وفي الكشف عن الظلم البيئي. لكن في الوقت نفسه، يجب أن نكون واعين بالتحديات التي تطرأ عند تحليل الرموز البصرية، مثل تعدد معانيها وصعوبة الربط بين الرموز وسياقاتها التاريخية والسياسية المعقدة.

نتائج البحث:

تسلط نتائج الدراسة الضوء على الدور المحوري للمحامل البصرية في حركة "سّكر السّياب" في تشكيل أداة تعبوية وخلق هوية الجماعية.الرموز والشعارات، كأدوات سيميولوجية لا تقتصر على التعبير عن المعاناة البيئية فحسب، بل تساهم أيضًا في إعادة تعريف الهويات الجماعية للمحتجين نتائج البحث كالتالي :

اولا: دور الرموز **البصرية في التعبئة الجماعية:**أظهرت الدراسة أن المحامل البصرية كانت أداة محورية في التعبئة المحلية وتعزيز الوعي الجماعي في حراك "سكر السياب".الرموز البصرية لعبت دورا جوهريا في تشكيل الهوية الجماعية للمحتجين من خلال رسائل قوية تم نقلها بصريا.

ثانيا:تأثير الرموز على الهوية الجماعية:تبين من خلال هذا البحث أن المحاميل البصرية ساعدت في إعادة تشكيل الهوية الجماعية للمحتجين.الرموز مثل "الطفل بالكمامة"و"مدخنة المصنع على شكل فوهة مسدس" قدمت رسائل قوية عن الظلم البيئي الأمر الذي ساهم في توحيد المحتجين وتشكيل هويتهم البصرية المشتركة.

ثالثا:أهمية النظر في السياقات السياسية والاجتماعية:اظهرت الدراسة ان السياقات السياسية والاجتماعية تلعب دورا هاما في تفسير الرموز البصرية فمن المهم النظر في الأبعاد التاريخية والسياسية للرموز لتقديم تحليل أكثر شمولا وتكاملا للحركات الاحتجاجية

المراجع:

-ابريز(بشير)، الصورة في الخطاب الاعلامي-دراسة سيميائية في تفاعل الأنساق اللسانية والايقونية، ورقة بحثية مقدمة إلى أعمال ندوة الصورة والخطاب، كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس/المغرب، مركز الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية،٢٠٠٩.

-الشرقاوي (ابو اليزيد)،تحولات المعنى المراوغ، دار الكتب المصرية، الجيزة / مصر،٢٠٢٣.

-بوبيري(رشدي)، الخطاب والسلطة الرمزية عند بيير بورديو، مركز ابن غازي للأبحاث والدراسات الاستراتيجية، افريل ٢٠٢٣.

-بوعزيزي (محسن)، السيميولوجيا الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت،٢٠١٠.

-بيار بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، الطبعة الثالثة،٢٠٠٧.

-دوبري (ريجيس)، حياة الصور وموتها، ترجمة فريد الزاهي، الناشر مؤسسة الهنداوي،٢٠٢٤.

-كاستلز (مانويل)، شبكات الغضب والأمل: الحركات الاجتماعية في عصر الانترنت، ترجمة هايدي عبد اللطيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الاولى، بيروت، سبتمبر ٢٠١٧.

-محمد إسماعيل (محمد فيض)، السيميولوجيا واستخدامها في مجال الاعلام، مجلة الآداب والعلوم الانسانية،٢٠١٨.

-مصطفى (فتحي)، غراب(نجلاء)، سيمولوجيا الصورة المرئية وعلاقتها باللغة اللسانية، مجلة فتوحات، العدد الثالث، جوان ٢٠١١.

-ناسية(عادل)، اشكاليات المصطلح السيميائي بين الواقع والترجمة واختلاف الهويات، مجلة التعريب، مجلد ٢٧ عدد ٥٢، المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر،سوريا،٢٠١٧.

الهرماسي(عبد اللطيف)،الرمز والمتخيل في انتخابات ما بعد الثورة التونسية،في (مجموعة مؤلفين)،التعبئة الانتخابية في تونس،دراسة حالة الانتخابات التونسية ٢٠١٤،المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.٢٠١٦.

Bourdieu, Pierre :Langage et pouvoir symbolique ,Paris, Seuil,2001-

***مواقع الكترونية**

-http://www.gouvernorat-sfax.gov.tn/include/indexara.htm#:~

-https:// ar.wikipedia.org/wiki /%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A9_%D8%B5%D9%81%D8%A7%D9%82%D8%B3

الهوامش :

١بوعزيزي (محسن)، السيميولوجيا الاجتماعية، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الاولى، بيروت، ٢٠١٠.ص١٧.

٢ محمد إسماعيل (محمد فيض)، السيميولوجيا واستخدامها في مجال الاعلام، مجلة الآداب والعلوم الانسانية،٢٠١٨.

٣ ناسية(عادل)، اشكاليات المصطلح السيميائي بين الواقع والترجمة واختلاف الهويات، مجلة التعريب، مجلد ٢٧ عدد ٥٢،المركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر،سوريا،٢٠١٧،ص٢٠٨.

٤ حمد إسماعيل (محمد فيض)، السيميولوجيا واستخدامها في مجال الاعلام، مصدر سابق.

٥ الشرقاوي (ابو اليزيد)، تحولات المعنى المراوغ، دار الكتب المصرية، الجيزة/مصر،٢٠٢٣، ص٧٧.

6 Bourdieu, Pierre : Langage et pouvoir symbolique, Paris, Seuil, 2001, p18.

7 *CRESWELL (John-W),Qualitative inquiry and research design ,Choosing among five traditions,Sage Publications,London,1988,p.14.*

٨ تاريخ الاطلاع ٢٠٢٥/٠١/١٧، ساعة الاطلاع ١٣:٣١،موقع الاطلاع

http://www.gouvernorat-sfax.gov.tn/include/indexara.htm#:~:

٩ تاريخ الاطلاع ٢٠٢٥/٠١/١٧، ساعة الاطلاع ١٠:٥٥،موقع الاطلاع:
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%88%D9%84%D8%A7%D9%8A%D8%A9_%D8%B5%D9%81%D8%A7%D9%82%D8%B3

١٠ مصطفى (فتحي)، غراب(نجلاء)، سيمولوجيا الصورة المرئية وعلاقتها باللغة اللسانية،مجلة فتوحات،العدد الثالث،جوان ٢٠١١.

11 - Angers (Maurice), initiation pratique a la méthodologie des sciences humaines, Collections techniques de recherches, casbah, Alger, Algérie, 1997, p 140.

١٢ بيار بورديو، الرمز والسلطة، ترجمة عبد السلام بن عبد العالي، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، الطبعة الثالثة،٢٠٠٧، ص٤٨.

١٣ ابريز(بشير)، الصورة في الخطاب الإعلامي – دراسة سيميائية في تفاعل الأنساق اللسانية والأيقونية، ورقة بحثية مقدمة إلى أعمال ندوة الصورة والخطاب، كلية الآداب والعلوم الانسانية بفاس / المغرب، مركز الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩، ص٥١.

١٤ الهرماسي (عبد اللطيف)، الرمز والمتخيل في انتخابات ما بعد الثورة التونسية، في (مجموعة مؤلفين)، التعبئة الانتخابية في تونس، دراسة حالة الانتخابات التونسية ٢٠١٤، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.٢٠١٦.

١٥ كاستلز (مانويل)، شبكات الغضب والأمل: الحركات الاجتماعية في عصر الانترنت، ترجمة هايدي عبد اللطيف، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الطبعة الاولى، بيروت، سبتمبر ٢٠١٧.ص ١٢٣.